

# الدولة الأموية في الأندلس

(عصر الإمارة (138 - 316هـ))

## 1- عبد الرحمن الداخل (138 - 172هـ):

سقطت الدولة الأموية بالمشرق سنة 132هـ، واضطهد العباسيون الأمويين، وطاردوهم في كل مكان، لكن واحدًا منهم هو عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك تمكن من الوصول إلى الأندلس، بعد أن عبر فلسطين ومصر، ثم لحق به مولاة بدر الرومي الأصل، ومولاه سالم ومعهما شيء من المال والجواهر، ثم وصل عبد الرحمن إلى برقة فأقام بها مدة، ثم غادرها إلى أن وصل إلى المغرب الأقصى حيث التجأ إلى أخواله من بني نفزة، وتجول هناك، متغلبًا على ما قابله من صعاب، وأقام حينًا عند شيوخ البدو، وحينًا عند بعض رجال قبيلة زناتة، وكان أثناء ذلك يدرس أحوال الأندلس، ويرقب الفرصة المناسبة للعبور إليها.

وقد اتصل بمعونة مولاة بدر، الذي كان قد نزل بساحل البيرة في كورة «غرناطة» موطن أهل «الشام» بموالي خلفاء البيت الأموي والقرشيين عامة، وبالكلبية اليمنية، خصوم الوالي يوسف الفهري، ثم عبر عبد الرحمن إلى الأندلس في ربيع سنة (137هـ)، ونزل بثغر «المنكب» لموقعه الممتاز، وقد التفت الناس حوله بما في ذلك جماعات البربر، على أمل أن ينقذهم من الأوضاع المتردية. تقدم عبد الرحمن نحو العاصمة قرطبة، وجمع «يوسف الفهري» و«الصميل بن حاتم» ما أمكنهما من قوات، والتقى الفريقان عند «المصاراة» أو «المسارة» بالطرف الغربي، وتمكن عبد الرحمن من تحقيق انتصار حاسم، دخل على إثره قرطبة وصلى بالناس الجمعة، وخطب في الجند، وعُد ذلك اليوم ميلادًا للدولة الأموية في الأندلس، ولقب «عبد الرحمن بن معاوية» بعبد الرحمن الداخل، لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكمًا.

ولم يكن عمر «عبد الرحمن الداخل» حين حقق هذا الإنجاز يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، لكنه كان رجل الموقف، شحذت همته الخطوب والمحن، وأعدته حياة النضال والمغامرة، ففضى ببقية عمره اثنين وثلاثين عامًا في كفاح مستمر، لا ينتهي من معركة إلا ليخوض أخرى، ولا يجمع ثورة إلا تلتها ثورة، ولم تبق بالأندلس ناحية أو مدينة إلا ثارت عليه، ولا قبيلة إلا نازعته في الرياسة، فكانت الأندلس طوال عهده بركانًا يشتعل بنيران الحرب والثورة والمؤامرة، لكنه صمد لتلك الخطوب جميعًا، واستطاع بما أوتى من حزم وحسن سياسة وبعد المهمة والجلد والإقدام أن يغالب تلك الأخطار والقوى وأن يقبض على زمام الأمور بالأندلس بيده القوية.

وقد تصور اليمينيون أن من حقهم ماداموا قد ناصروا «عبد الرحمن» أن يفعلوا ما يشاءون، فينشروا الفوضى ويستولوا على أموال الناس، ويغرقوا البلاد في مستنقع العصبية القبلية كما كان الحال من قبل، لكن عبد الرحمن أثبت أنه لا يفرق بين شامي أو بلدي، أو بين بربري ويمني، فجميعهم يضمهم وطن واحد، وعليهم أن يخضعوا لسلطان العاصمة المركزية.

غير أن تلك السياسة لم تعجب اليمينيين، وعدّوها لونها من الجحود والنكران فثاروا عليه، لكنه تمكن من القضاء عليهم في الجزيرة الخضراء، وإشبيلية، وطليطلة، وباجة، معتمدًا على حشود البربر وأهل البلاد وأعوان بني أمية.

ولعل من أخطر الثورات التي واجهت عبد الرحمن ثورة «العلاء بن مغيث الحضرمي»، من وجوه باجة ومن ذوى الرئاسة بها، وكان قد كاتب أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي، واستصدر منه سجلا بولاية الأندلس، وجمع حوله جنودًا عظيمًا، ورفع العلم الأسود شعار العباسيين سنة (146هـ)، فاشتعلت باجة بنيران الثورة، وتحالفت «شذونة» مع الثائر، فخرج عبد الرحمن من قرطبة ولجأ إلى الدفاع أولاً، فلما ضعف خصمه تحوّل إلى الهجوم، ونشبت معارك هزم فيها العلاء وتشتت جنده، وقتل الآلاف بما فيهم العلاء نفسه، وحمل عبد الرحمن رؤوس الزعماء والقادة وبعث بها إلى القيروان، ووضع رأس العلاء في سفظ ومعه اللواء الأسود، وسجل المنصور بتوليته، وحمله بعض

ثقة التجار إلى مكة، وكان المنصور يحج، وألقى هذا أمام سرادقه، فلما حمل إليه قال: «ما في هذا الشيطان مطمح، فالحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر».

ولم يكن على عبد الرحمن أن يواجه مشاكل الجنوب فقط بل شمالي الأندلس أيضًا، فقد ثار عليه سليمان بن يقطان والى سرقسطة بالتحالف مع عبد الرحمن بن حبيب الصقلي، وشارل مان الإفرنجي وهذا بإيعاز من الخلافة الغباسية إلا أنه استطاع أن يتغلب عليهم ويهزمهم.

ولما شعر عبد الرحمن بهدوء نسي، استدعى بني أمية من المشرق، فأقبل إليه كثيرون، استعان بهم في تحمل بعض المسئوليات، لكنه فوجئ بأن من بينهم من ينقم عليه، ويقوم ضده المؤامرات، فاضطر إلى أن يعتمد على المخلصين من موالى بني أمية ومن انضم إليه من أهل البلاد، بالإضافة إلى قوة من الصقالبة اشتراهم صغارًا من بلاد النصارى ورياهم تربية إسلامية عسكرية، وأصبح هؤلاء عنصرًا أساسيا من عناصر القوة السياسية في الأندلس.

ووثوق عبد الرحمن في (10 من جمادى الآخرة 172هـ) بعد حياة طويلة قضاهها في كفاح متواصل، ومواجهة للصعاب والأهوال، وأقام ملكًا ودولة فوق بركان يضطرم بالثورات والمؤامرات، وأثبت أنه بطل فريد من أبطال التاريخ، لا يجود الزمان بمثله كثيرًا، فتى شريداً بلا أنصار وأعوان يفر من الموت الذي تعرضت له أسرته، لكنه يستغل ظروف الأندلس فيقودها بكثير من الدهاء والحزم والعزيمة والذكاء، ويقوم دولة على أسس إدارية وسياسية ومالية ثابتة. وأفضل ما تميز به؛ عقله المرتب وأسلوبه المنظم، فقد كان يدرس مشاكله، ويتلقى أخبار الثورات بجنان ثابت، ثم يرسم خطته للقضاء عليها، ويصفه ابن حيان أمير مؤرخي الأندلس بقوله: «كان راجح العقل، واسع العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم. متصل الحركة لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعاً، مقداماً...».

## 2 - هشام الأول بن عبد الرحمن المعروف بالرضي (172 - 180هـ)

خلف هشام أباه عبد الرحمن على حكم الأندلس، لما توسمه فيه من المزايا الخاصة، وقد أبدى هشام لينًا وورعًا، وحسن سياسة، وبصرًا بالأمور، فحذب الناس إليه بإقامته للحق وتحريره للعدل،

ومعاقبته للولادة المقصرين. ولم يعكر صفو أيام هشام إلا اشتعال بعض الثورات، منها: الثورة التي قام بها أخواه «سليمان» و«عبد الملك»، وانتهت بالصلح سنة (174هـ) على أن يقيما بعودة المغرب، كما قاد حملة على نصارى الشمال الذين أغاروا على البلاد، فنجح في القضاء عليهم سنة (175هـ / 791م) ثم تكررت حملاته عليهم، وأهم ما يتميز به عهد «هشام» ذيوع مذهب الإمام «مالك بن أنس»، وحلوله محل مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام الذي اتبعه الأندلسيون، وكان الإمام مالك معاصرًا لهشام بن عبد الرحمن، كثير الثناء عليه. وحرصت الإمارة الأندلسية على جعل اللغة العربية لغة الدواوين الرسمية، ولغة الدرس والتعليم، ولم تكن تقبل إلا ما هو عربي، وكان ذلك اتجاهًا عامًا سار عليه الأمويون .

وكان هشام يحب مجالس العلم والأدب، وبخاصة مجالس الفقه والحديث، فقرَّب إليه الفقهاء والعلماء، وبوَّأهم أهم المناصب، خلافًا لما كان عليه زمن والده، وقد ترتب على ذلك نتائج سياسية واجتماعية ظهرت فيما بعد.

### 3- الحكم الأول بن هشام المعروف بالربضي (180 - 206هـ)

بدأ الأمير الحكم عهده بالجهاد ضد البشكنس، لكنه اضطر إلى تركه لمواجهة الثورات التي اشتعلت ضده في الثغر الأعلى سنة (181هـ). وفي أواخر عهد الحكم اشتعلت في «قرطبة» ثورة عنيفة سميت ثورة الربض، بسبب كراهية «المولدين» للحاكم، وبغضهم له لصرامته وقسوته، واتهامهم له بممارسة اللهو والشراب، والمبالغة في فرض الضرائب، وقد تأجج لهيب الثورة في الربض الجنوبي المسمى «شقندة» بصفة خاصة يوم (13 من رمضان 202هـ) وتوجه الثوار إلى القصر، وتأهب الحكم ورجاله لردِّهم، وقد نجحوا في ذلك، ثم ما لبث أن شقت قوات الحكم طريقها إلى النهر، وعبرته إلى الضاحية الأخرى موطن الثائرين وأضرمت النيران في جوانبها، فأسرع الثوار إلى دورهم، لإطفاء النيران وإنقاذ الأهل والعشيرة.

وفى هذه اللحظة أحاط الجنود بالثوار، وأوسعوهم قتلا ومطاردة ونهبوا دورهم، واستمرت هذه المأساة ثلاثة أيام، فرَّ خلالها إلى طليطلة من استطاع، ثم نودي بالأمان بعد أن هدأت الفتنة، ثم

أصدر الحكم قرارًا بهدم دور الثوار ولاسيما في الضاحية التي شهدت ميلاد الثورة، فتم محوها تمامًا، ثم أمر بإخراج الثائرين من قرطبة، فنفروا في الثغور، وعبر بعضهم إلى العدو الأخرى بالمغرب، وهاجر بعضهم إلى طليطلة وشمالي غربي الأندلس.

كما ركب نحو (15) ألفًا منهم سفنًا رست بهم في ميناء الإسكندرية، حيث أقاموا فيها، غير أن والى مصر عبد الله بن طاهر أجبرهم على الرحيل، فتوجهوا إلى جزيرة «كريت» وفتحوها سنة (212هـ)، وأسسوا بها دولة زاهرة، بقيت هناك إلى أن استولى عليها البيزنطيون سنة (350هـ). مرض الحكم بعد ذلك، وأخذ البيعة لولى عهده في حياته، وأبدى أسفه لما وقع منه لأهل الرض، ثم توفي في (26 من ذي الحجة 206هـ) بعد أن لُقّب بالرضي.

#### 4- عبد الرحمن الثاني (الأوسط) بن الحكم (206 - 238هـ)

تولى عبد الرحمن السلطة في (27 من ذي الحجة 206هـ) بعهد من أبيه؛ وكان عبد الرحمن منذ صغره شغوفًا بدراسة الأدب والحديث والفق، ذا عقل مستنير، خبيرًا بشئون الحرب والسياسة، هادئ الطباع، حسن العشرة، متقربًا إلى الناس، حازمًا في أمره، ولهذا كان مؤهلًا لإزالة ما خلفته إمارة أبيه الحكم من آثار سيئة.

استأنف عبد الرحمن الثاني برنامجه في الجهاد مبكرًا، فأرسل العديد من الحملات ضد النصارى في الشمال والحق بهم هزائم عديدة. ومن أبرز الأحداث التي ميزت عصره:

#### تصديه لغزوات النورمان:

النورمان هم أهل الشمال الذين كانوا يستقرون في الركن الشمالي الغربي من فرنسا الحالية، وأطلق المؤرخون المسلمون عليهم إسم المجوس لكثرة إشعالهم للنيران أثناء الغزوات، أما في المصادر الإنجليزية ف'ن إسمهم الفايكينغ (سكان الخلدجان)، ويرجع هذا الشعب إلى أصل جرمانى، وقد ظهرت إعتداءاتهم في بداية الامر على سواحل الدول الأروبية، وكانت قبائل همجية تشتهر بجوب البحار ومحاولة التغلب على قسوة الجليد وأهوال الطبيعة، تحملهم سفن صغيرة ذات أشرعة سوداء، تدخل

مصبات الأنهار، وتنشئ لها مراكز داخل البلاد، وتغير على المدن وتنهب خيراتها، ثم توقد النيران للتعمية، ثم تهرب مسرعة.

وكان ظهور هؤلاء في مياه الأندلس لأول مرة سنة (230هـ)؛ حيث جاء أسطول لهم في ثمانين سفينة، ورسا في مياه لشبونة فكتب حاكمها إلى عبد الرحمن يخبره بذلك، وفي الوقت نفسه تصدى لهم بكل شجاعة ومنعهم من الدخول إلى مدينته، فتابع النورمان طريقهم نحو مصب نهر وادي الكبير، وأشبيلية مدينة تقع على مجراه حتى وصولها، فأصيب أهلها بالدهشة من هؤلاء الغرباء وهجومهم المفاجئ حيث تمكنوا من بسط سيطرتهم عليهم، إذ كانت سفن المسلمين متواجدة في الشرق لأنهم لم يتوقعوا أن يأتي أي هجوم من الغرب، وهكذا دخلوا اشبيلية فأفسدوا فيها فسادا كبيرا، فدمروها تماما، ونهبوا ثرواتها، وهتكوا أعراض نساءها، ثم تركوها إلى المناطق المجاورة فأشاعوا الرعب وعم الفرع، فلما بلغ عبد الرحمن الأوسط أعمالهم القذرة ما كان منه إلا أن جهز جيشه وأعد عدته، ولأكثر من مائة يوم كاملة دارت بينه وبينهم معارك ضارية، أغرقت خلالها خمس وثلاثين سفينة للفايكنج، وعلق على جذوع الشجر أعدادا منهم بعد أسرهم، وتم قتل قائد النورمان أيضا. وهكذا من الله على المسلمين بالنصر، وعاد النورمان إلى بلادهم خاسئين.

وكان لهذه الحادثة دور كبير في تحصين المدن القريبة من السواحل وإحاطتها بأسوار ضخمة كما تم في اشبيلية التي تقع على نهر الوادي الكبير الذي يصب في المحيط الاطلنطي، ومن السهولة جدا أن تدخل سفن الفايكنج أو غيرها من المحيط إليها. أيضا كان من نتائج هذه الهجمة نشأة الأسطول الأندلسي، حيث قام عبد الرحمن الأوسط بإنشاء أسطولين قويين جدا، إحداهما في الأطلسي والآخر في البحر الابيض المتوسط،/ وذلك حتى يدافع عن كل سواحل الأندلس، فكانت هذه الأساطيل تجوب البحار وتصل إلى اعلى حدود الاندلس في الشمال ، وتصل في البحر الابيض المتوسط حتى ايطاليا تجوب البحار وتصل الى اعلى حدود الأندلس في الشمال، وتصل في البحر الابيض المتوسط حتى إيطاليا. وكان من نتيجة ذلك أنه فتح جزر البليار للمرة الثانية، كنا قد ذكرنا أن الذي فتحها للمرة الاولى كان موسى بن نصير رحمه الله وذلك قبل فتح الأندلس سنة 91هـ، ثم سقطت في أيدي

النصارى في عهد الولاة الثاني (123-138هـ) حين انحدر حال المسلمين انذاك، وهنا وفي سنة 234هـ تم فتحها ثانية.

كذلك كان من نتيجة هزيمة الفايكينج في هذه الموقعة قدوم سفارة من الدانمارك محملة بالهدايا تطلب ود المسلمين، وتطلب المعاهدة معهم، وهكذا فالبعض من البشر لا تردعه إلا القوة ولا تصده إلا لغة الأقوياء.

### مواجهته لفتنة المتعصبين النصارى في الأندلس:

تعرضت البلاد في أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط لفتنة شديدة، أملتها روح التعصب، فقد كره بعض القساوسة والرهبان سيطرة الثقافة واللغة العربية على المجتمع، وانتشار الإسلام، فراحوا يجهرون بسب النبي صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه، وإهانة المقدسات الإسلامية علناً وعلى مرأى الناس وفي الطرقات العامة.

فاضطر القضاة إلى الحكم بإعدام هؤلاء المتعصبين، وقتل كثير منهم في صيف سنة (237هـ)، فعددهم قساوسة النصارى شهداء، وكان هذا هو هدف هؤلاء المتعصبين، وتأزم الموقف، والتهمت نيران الفتنة.

واجه عبد الرحمن هذه المشكلة بما تستحقه من صبر، فطلب من قادة النصارى عقد مجمع ديني في قرطبة لمعالجتها بحكمة واتزان، فأوضح المجمع عواقب هذه الاعمال الوخيمة، وأن المعتدلين من النصارى يستنكرون هذا العمل، وكان من نتيجة ذلك استقرار الأوضاع وعودة الوئام بين المسلمين والنصارى .

توفى «عبد الرحمن» في (3 من ربيع الآخر 238هـ) عن عمر يناهز (62) سنة.

### عصر دويلات الطوائف الأولى (238-300هـ)

تعتبر الفترة التي تلت وفاة عبد الرحمن الثاني حتى تولية عبد الرحمن الثالث، فترة مضطربة وتقدر بنحو 62 سنة، حكم خلالها ثلاثة من الامراء: محمد بن عبد الرحمن الاوسط (238-273هـ)، ثم إثنين من أولاده المنذر (273-275هـ)، ثم عبد الله (275-300هـ).

هذه الفترة في مجموعها كانت مليئة بالاضطرابات السياسية، حيث استغلت العناصر المختلفة للمجتمع الأندلسي ضعف حكومة قرطبة بعد وفاة عبد الرحمن، وأخذ كل عنصر منها يستقل بناحية من الأندلس.

فالمولدون كونوا عدة دويلات مستقلة عن قرطبة نذكر منهم:

1- بنو قسي استقلوا بسرقسطة أو الثغر الأعلى.

2- بنو مروان الجليقي استقلوا بمنطقة بطليوس في الغرب الأندلسي.

3- بنو حفصون وزعيمهم عمر بن حفصون وقد استقلوا بالمرتفعات الجنوبية الاسبانية الممتدة بين مدينتي زنده غربا ومالقة شرقا، وكانت قاعدتهم قلعة بيشتر.

أما زعماء البربر الذين استقلوا عن قرطبة فنذكر منهم:

بنو ذي النون في الثغر الأوسط طليطلة، الذي كان ثغرا على بلاد الجلالقة ومنطقة القلاع (قشتالة) في شمال غرب الأندلس بنو الملاح الذين استقلوا بمدينة جيان.

أما زعماء العرب الذين استقلوا عن قرطبة في تلك الفترة فنذكر منهم:

بنو حجاج في اشيلية وكانوا عربا من قبيلة لحم اليمانية.

ومنهم أيضا الأمير الشاعر سعيد بن الجودي الذي استقل بغرناطة.

هذه الأسر السابقة تمثل العناصر الثلاثة الكبيرة في الأندلس ويوجد غيرها كثير ولكننا ذكرنا

الأهم على سبيل المثال لا الحصر.

على أن أهم هذه الشخصيات السابقة وأحضرها جميعا هي شخصية زعيم المولدين عمر بن

حفصون الذي عاصر الأمراء الأمويين الثلاثة المذكورين ولم يستطع واحد منهم القضاء عليه.

وهو مسلم من المولدين، أي من أهل الأندلس الأصليين، حيث كان في البداية قاطع للطريق وكان

يتزعم عصابة من أربعين رجلا، حين بدأ الناس يركنون إلى الدنيا ويتركون الجهاد في سبيل الله زاد

حجمه كثيرا، فسيطر على كل الجنوب الأندلسي.



في سنة 86هـ قام عمر بن حفصون بعمل لم يتكرر كثيراً في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الأندلس بصفة خاصة، فلقي يزيد من قوته في آخر عهده، وبعد اثنين وعشرين عاماً من ثورته انقلب على عقبه وتحول من الإسلام إلى النصرانية، وسمى نفسه صمويل، وذلك بهدف كسب وتأييد مملكة ليون النصرانية في الشمال، وهو وإن كان قد تركه بعض المسلمين الذين كانوا معه إلا أنه نال بالفعل تأييد مملكة ليون، في الوقت الذي تزامن مع توقف الجهاد ضد ممالك النصرانية.

بدأت مملكة ليون تتجراً على حدود الدولة الإسلامية، فبدأت تهاجمها من الشمال وعمر بن حفصون أو صمويل من جهة الجنوب.

وهكذا أدت هذه الثورات في النهاية إلى ضعف الحكومة المركزية، حيث لم تعد تسيطر إلا على مدينة قرطبة وبعض القرى التي حولها رغم المحاولات المستمرة التي قام بها الأمراء الثلاث في إعادة هذه المناطق المستقلة إلى المركز.

## الدولة الأموية (عصر الخلافة)

(316-322هـ)

تبدأ إرهابات هذه الفترة بتولي عبد الرحمن الناصر (300-350هـ) حكم البلاد الذي كان عليه أن ينهض بمهمة ثقيلة، حيث تعرضت الإمارة للثورات من كل ناحية، فبدأ بقيادة القوات والقضاء على الثائرين الواحد تلو الآخر حتى ضيق على ابن حفصون فاضطر لطلب الأمان فوافقه الأمير على ذلك، وفي شهر (ربيع الأول سنة 306هـ) مات «عمر بن حفصون» عن عمر يناهز اثنين وسبعين عامًا بعد أن قاد أكبر ثورة قام بها المولدون ضد الإدارة الأموية في غرب الأندلس كله، وتنفست الحكومة الأموية بوفاته الصعداء بعد أن كان شاغلها الشاغل طوال ثلاثين عامًا، وبحلول سنة 317هـ استطاع الناصر لدين الله القضاء على آخر الثورات التي استنزفت مجهود الدولة لسنوات طويلة.

تعرضت الحدود الشمالية لقرطبة لأخطار جسيمة من طرف النصارى قبل أن يتولى عبد الرحمن الناصر، وكان الناصر يؤثر في أول الأمر غض الطرف عن محاربتهم إلى أن يتمكن من تطهير الأندلس من الثائرين، لكن هذا التخريب والفساد والعبث من جانبهم جعل الناصر يتخلى عن أسلوبه الأول، فبعث بالجيوش وقاد بنفسه الحملات التي ألحقت بهم الخسائر الفادحة حتى كسر شوكتهم واسترد العديد من المدن والحصون والقلاع وأجبرهم على الولاء له.

عندما تولى عبد الرحمن الناصر، كانت الدولة الفاطمية قد قامت في بلاد المغرب منذ أربع سنوات في (296هـ)، وامتد نفوذها بسرعة حتى وصل إلى سبتة، وأصبحت تهدد الشواطئ الأندلسية وتمثل خطرًا دينيًا وسياسيًا عليها، ومن الطبيعي أن يزعج هذا الأمر الأمويين في الأندلس؛ لأن المغرب قاعدة من يريد الوصول إلى الأندلس. كما أنه يمد الثوار بها بحاجاتهم ويشجعهم على التآمر ضد الإدارة الأموية.

كان على الناصر أن يواجه هذه المشكلة قبل أن يستفحل خطرهما. ولهذا بعث سنة (319هـ) أسطولاً مكوناً من (120) سفينة وسبعة آلاف رجل إلى سبتة انضم إليه بعض المتطوعة في الطريق، وقد تمكن هذا الأسطول من السيطرة على سبتة، ثم حاصر الأسطول بعد ذلك طنجة وضيق عليها حتى استسلمت وخضعت للناصر وغادرها بقية الأدارسة، وبادر زعماء البربر إلى إعلان الطاعة للناصر وامتدت دعوته حتى فاس.

### عبد الرحمن الناصر يُعلن نفسه خليفة:

عندما تولى عبد الرحمن الداخل أمر بعدم الدعاء لبني العباس ولم يتخذ لقب الخلافة مكتفياً بالإمارة، وسار بنوه على نهجه، فلما تولى الناصر، وجد أن هناك دولة فاطمية قامت في بلاد الشمال الإفريقي، ووصل نفوذها إلى شواطئ المغرب الأقصى، وقد اتخذ حكامها لأنفسهم لقب الخلافة وسماتها، إلى جانب ما يشكلونه من خطر شيعي على المنطقة، كما أن خلافة بني العباس دخلت أطوار الضعف والانحطاط من سيطرة جنود الترك والديلم، وإذا كان هو قد نهض بالدولة ووطد سلطان بني أمية في كل الأندلس فلماذا لا يكون من حقه لقب خليفة؟ لذلك وبعد استشارة بعض الفقهاء أصدر أمراً بذلك يوم الجمعة مستهل (ذي الحجة سنة 316هـ) وأصبح عبد الرحمن الثالث يلقب بالخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وقد أرسلت نسخ من هذا الإعلان إلى إفريقية والمغرب، وبذلك أصبحت الخلافة الأموية مساوية للخلافة العباسية، ويناط بها رعاية شؤون المسلمين. فنجح في تحويل ملوك إسبانيا النصرانية إلى أتباع له أو حلفاء.

كما أنشأ مدينة الزهراء وزاد المسجد الجامع بقرطبة، كما اهتم الناصر بالجيش وجمع له الجند من أنحاء المغرب والأندلس، واستكثر من الأسلحة، وأمدّه بمجموعة من أمهر القادة، وتولى القيادة بنفسه أحياناً. كما أمر الناصر باتخاذ دار للسكة في قرطبة سنة (316هـ) لضرب الدينانير والدراهم. توفي عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ بعد حكم دام خمسون سنة استطاع إعادة بناء الأندلس والوصول بها إلى مراتب الدول الكبرى عالمياً في ذلك العصر.

## الحكم المستنصر بالله (350 - 362هـ).

خلف عبد الرحمن الناصر أكبر أولاده الحكم المستنصر بالله، الذي بويع يوم وفاة أبيه في الثالث من رمضان سنة 350هـ وهو في السادسة والأربعين من عمره، فبعد أن رتب أمور الدولة وواجه الأخطار الداخلية والخارجية بحزم، ووجه أكبر اهتمامه إلى الآداب والعلوم، فازدهرت في عصره حتى وصلت الأندلس إلى قمة تطورها، فاجتمع له في خزائنه أكثر من أربعمئة ألف مجلدا تتعلق بمختلف أنواع العلوم في عصره، كما احتضن العلماء وأغدق عليهم وقربهم حتى نالوا حظوة كبيرة عنده.

شعر الحكم المستنصر في أواخر عهده بالضعف والمرض، فأوصى لابنه هشام بولاية العهد من بعده وهو لم يبلغ العاشرة من عمره بعد، وقد أخذ له البيعة قبل وفاته، فلما انتقل إلى جوار ربه نفذت رغبته وأصبح ابنه الصغير خليفة للمسلمين في الأندلس.

إلا أن الخليفة المؤيد بالله ونظرا لصغر سنه، شكل مجلسا للوصاية عليه، وهذا لتسيير شؤون الدولة، بما مهد الطريق لبروز شخصية قحطانية قوية وفريدة من نوعها، لكن من خارج البيت الأموي، وهي شخصية محمد بن أبي عامر، الذي استطاع بدهائه السيطرة على أمور الحكم بعد أن قام بإقصاء كل المنافسين والمنائين له، فتخلص في البداية من سيطرة الصقالبة، ثم من الحاجب بن عثمان المصحفي، وكذا من القائد غالب (قائد الجيش)، وبعد ذلك أبعث السيدة صبح أم هشام المؤيد بالله، فخلا له الجو بذلك للانفراد بالملك، فتغلب على الخليفة هشام المؤيد وحجره في قصره، لا تراه الخواص ولا العوام، ثم تسمى بالحاجب المنصور سنة 371هـ، كما أمر بالدعاء له على المنابر بعد الخليفة. هذا الوضع، جعل السلطة الزمنية تخرج عن سيطرة الخليفة والأمويين بشكل عام، فلم تبق لهم إلا السلطة الروحية من الدعاء على المنابر وكتابة اسم الخليفة على السكة والطرز لتبدأ مرحلة الدولة العامرية التي نشأت في قلب الدولة الأموية وفي عز قوتها.

وهكذا نجح ابن أبي عامر في السيطرة على مقاليد الأمور، وأعاد للأندلس الإسلامية هيبتها؛ إذ قام بست وخمسين غزوة ضد الممالك المسيحية بالشمال "لم تنكس له فيها راية ولا فل له جيش"

كما يقول المقري، ومن الناحية الثقافية كان بلاطه في المدينة الزاهرة ملتحقاً للكثير من العلماء وشعراء المديح الذين أرحوا لحكمه، ثم خلفه ابنه عبد الملك المظفر (392-399هـ / 1002-1009م)، فسار في الحجابة سيرة أبيه بصفة عامة.

ولما مات المظفر خلفه أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول، وكان دون أبيه وأخيه كفاية؛ حيث طمع فيما بقي للخليفة الأموي من السلطة الروحية. هذا الأمر الخطير ترك الأمويين يثورون ضده ويقتلونه بعد أن ولوا أمرهم رجلاً من أحفاد الناصر وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولقبوه بالمهدي بالله فأساء للبربر، وبسبب هذه السياسة اشتعلت حرب أهلية بقرطبة دامت ثلاثة وعشرين عاماً (399-422هـ / 1009-1031م) تصارعت فيها العناصر المختلفة في المجتمع الأندلسي كالبربر والصقالبة وأهل قرطبة، وخرت فيها مدن عامرة كالزهراء والزاهرة واستعان بعضهم بالنصارى على بعض، فمرت على قرطبة سنوات دامية؛ عطلت فيها بعض المساجد وهدمت فيها دور العلم التي أنشأها المستنصر، وقتل عدد كبير من مدرسيها، وبيعت كتبه التي جمعها بأبخس الأثمان. وراح ضحيتها الكثير من العلماء، وترك أكثرهم قرطبة إلى مدن الأندلس الأخرى، ومنهم من خرج إلى أقطار إسلامية أخرى كمصر وغيرها، والذي لم يغادرها لزم الصمت خوفاً من الفتنة أو أصابته نوبة من الاكتئاب من هول ما جرى كما حدث للمؤرخ ابن حيان (ت 469هـ / 1076م) الذي منعه تلك الأحداث من متابعة مجريات هذه الصراعات لكنه بعد وقت غير طويل أمسك بالقلم ثانية ليكتب - نزولاً على الأمر الواقع - تاريخ تلك الوقائع: "وأنسأتني المدة إلى أن لحقت بيدي منبعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلّمة المفرقة للجماعة الهادمة للمملكة المؤثرة المغربية الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية ففاضت أهوالها تعاضماً أولهني عن تقييدها، وأوهمني أن لا مخلص منها فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها".

وهكذا عاشت الأندلس الإسلامية في الفوضى وعدم الاستقرار، حيث تولى الحكم في هذه الفترة عشرة حكام، منهم أربعة تولوا الحكم مرتين وبعض هؤلاء الحكام من الأمويين، وبعضهم من بني حمود، وكان كلما تسمى أحد بالخلافة فيكون مصيره القتل، أو العزل أو السجن.

ولما بلغت هذه الاضطرابات أوجها وعمت الفوضى جميع جوانب الحياة في قرطبة فلم تتحمل المكونات الاجتماعية ذلك فهتفت بإسقاط الخلافة عن الأمويين وتم ذلك سنة 422هـ / 1031م، وإخراج من تبقى من بني أمية في قرطبة، ثم أعلن الوزير أبو الحزم محمد بن جمهور انتهاء رسم الخلافة

لعدم وجود من يصلح لها، وأسند الأمر إليه باعتباره شيخ الجماعة، " فلما اتصل الخبر بأمرء البلاد ثار كل منهم في بلده بمن عنده من الأجناد"، وتفتت الأندلس بين عائلات عسكرية متنازعة، وأستقل كل أمير بناحيته، وتسمى كل واحد منهم بما يجلو له من ألقاب الخلافة.

وهكذا دخلت الأندلس في عهد جديد عُرف أصحابه بملوك الطوائف أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس. منقسمة إلى أكثر من عشرين أسرة حاكمة منضوية تحت لواء ثلاثة تجمعات كبيرة يطمح كل منها في بسط سلطانه على الأندلس.